الجرائم الاستعمارية في الجزائر خلال القرن 19 في ضوء المصادر الفرنسية

Colonial crimes in Algeria during in the 19th Century according to French sources

عسال نورالدين♦، جامعة جيلالي ليابس-بلعباس assalnoureddine22@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/07/21 تاريخ القبول:2022/12/06 تاريخ النشر:2023/01/31

الملخص باللغة العربية:

يتناول المقال جزئية هامة من تاريخ الجزائر المعاصر بتسليط الضوء على قضية شائكة لا زالت تثير الكثير من الجدل في الأوساط الفرنسية والجزائرية، وأصبحت أحد العوامل المتحكمة في العلاقات الثنائية، فمنذ دخول الاستعمار الفرنسي تعرض الشعب الجزائري إلى شتى أنواع التنكيل والقتل والإبادة من قبل الجيش الفرنسي، فالجيش الفرنسي وقادته شنوا حربا ضد النساء والأطفال والشيوخ، وقد اعتمد في استراتيجيته القتالية سياسة الحرب الشاملة والإبادة الجماعية لترسيخ فكرة الاحتلال الشامل، دون الأخذ بعين الاعتبار للقوانين العسكرية والقيم الإنسانية، وبذلك اقترفت فرنسا أبشع جرائم ضد الإنسان الجزائري باسم الحضارة والرسالة التمدنية، ومن هذا المنطلق سنحاول التطرق إلى الجرائم من خلال ما كتبه العديد من القادة العسكريين الذين شاركوا بأنفسهم في اقترافها وبكل فخر وسادية لا مثيل لها، وبذلك تعتبر هذه الشهادات ردا على كل الادعاءات الفرنسية التي تمجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الفرنسي؛ الإبادة الجماعية؛ الجنرال بيجو؛ القرن 19، أولاد رياح.

Abstract: The article addresses a general part of Algeria's contemporary history by highlighting a thorny issue that continues to generate much controversy in French and Algerian circles. and became a dominant factor in bilateral relations, since the entry of French colonialism, the Algerian people have been subjected to

♦ المؤلف المرسل

various types of destruction, murder and extermination by the French army. The French army and its leaders launched a war against women, children and the elderly. In its combat strategy, it adopted a policy of total war and genocide to anchor the idea of total occupation. Regardless of military laws and human values, France has committed the most heinous crimes in the name of civilization and civilization. From this point of view, we will try to fight crimes through what many military commanders, who themselves participated in their conduct with pride and unparalleled sadism, have written. These testimonies are therefore considered as a response to all French claims glorifying colonialism.
Keywords: French colonization; genocide; General bugeaud; 19 Century; ouled Riah.

مقدمة:

لا زال تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر محل اهتمام الباحثين والمؤرخين الجزائريين والأجانب على حد سواء، خاصة الفترة المتعلقة بالاستعمار الفرنسي التي شهدت الكثير من الأحداث، وعلى الرغم من الدراسات التي أنجزت إلا أنها ظلت إلى يومنا هذا بعيدة عن تغطية كل ما عانه الشعب الجزائري من تلك السياسة،فجريمة الدولة هي مخالفتها للقانون بنسيان مبادئها وتعطيل شرعيتها الخاصة بحرمان الشعوب بكاملها من حقوقها، فمطاردة الإنسان وتعذيبه أسوأ من العبودية، فكانت الإبادة الاستعمارية جريمة العصر، وحولت البلاد إلى ساحة للقتل المبرمج والممنهج. إن هذه السياسة قد شكلت جزءا هاما من السياسة العامة التي انتهجها النظام الاستعماري، ولا يمكن أن نضع حدودا بين الجمهوريات أو الحكومات الفرنسية التي اشتركت في قاسم واحد ألا وهو القمع والتنكيل، وبقاء الاستعمار في الجزائر معناه بقاء التعذيب والتقتيل وكل أنواع الوحشية، ومن المفارقة أن تلك الأعمال التي اقترفها القادة العسكريون باسم الحضارة والتمدن جاءت لتظهر الوجه الحقيقي للهمجية والتوحش، ولمعالجة الموضوع طرحنا الإشكاليات: لماذا ارتكبت تلك الجرائم بتلك الطرق المتوحشة؟ هل لزرع الرعب لدى الجزائريين وبالتالي إضعاف روح المقاومة؟ أم لإبادة شعب بأكمله وتغليب العنصر الأوربي تمهيدا لفرنسة الأرض والإنسان؟، وما هي صور الجرائم التي ارتكبتها فرنسا ضد الشعب الجزائري؟ وكيف تناولت المصادر الفرنسية تلك الجرائم؟ هل يمكن اعتمادها للرد على ايديولوجية تمجيد الاستعمار والتهرب من مسئوليتها عن الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري.

تهدف هذه الدراسة إلى الرد على الادعاءات الفرنسية التي مجدت ايجابية الاستعمار في الجزائر بموجب قانون 23 فيفري 2005،والكشف عن الصورة القبيحة لفرنسا التي ما فتئت ترفع شعارات الحرية والمساواة والعدالة، خاصة أن تلك الجرائم قد أعترف بها القادة العسكريون الفرنسيون من خلال كتاباتهم ورسائلهم، مما يشكل دلائل قطعية تدين فرنسا أمام المجتمع الدولي، وكذا مسؤولية الدولة الفرنسية على تلك الجرائم .

1-القتل الممنهج ونقض العهود:

إن الاستعمار الفرنسي وهو يطأ أرض الجزائر تبنى سياسة الحرب الشاملة، فحينما نزل الجيش الفرنسي في سيدي فرج في 14 جوان 1830 بدأت معركة سطاوالي في 19 منه التي انتهت بهزيمة جيش الداي حسين، ودخل الفرنسيون حصن الإمبراطور الذي كان يحمي الجزائر العاصمة[1]، وفي05 جويلية جرت مفاوضات بين الجزائريين والفرنسيين، حيث تم الاتفاق بين "لويس اوغسط فيكتور دوغيزن كونت دي بورمون **Louis Auguste Victor de Ghaisne comte de Bourmont**" (1773-1846) والداي "حسين باشا" تعهد فيه قائد الجنرالات بضمان نفس المزايا ونفس الحماية لجميع جنود المليشيا، وتبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، وعدم الاعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات، ولا على دينهم وأملاكهم وتجارتهم وصناعتهم واحترام نسائهم[2]، وبذلك قطعت فرنسا على نفسها عهدا بحماية السكان واحترام حرية المعتقد وتخليص الشعب الجزائري من الظلم التركي وفقا مفهومها للتواجد العثماني بالجزائر. فهل التزم الفرنسيون بما قدموه من عهود ومواثيق للشعب ؟.

تحولت تلك العهود إلى أوهام وأصبح المحرر محتلا، وأطلقوا على العمليات العسكرية اسما جديدا هو التهدئة فانتشرت روح الانتقام من العربي المسلم لأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال، وطغت فلسفة العنف التي استندت على خلفية مسبقة استولت على عقول الفرنسيين بأن الجزائريين لا يخضعون إلا بالقوة. لقد تبنى العديد من المثقفين الفرنسيين ثقافة كره العربي المسلم مثل"ألكسي دوتوكفيل **Alexie De Tocqueville**"(1805-1859)الذي حثَّ جنرالات فرنسا على تطبيق المنطق الميكيافلي للسيطرة على الجزائر أرضا وشعبا قائلا:" **لم ترنا التجربة أين يوجد المسرح الطبيعي**

1-Claude Martin, **Histoire de l'Algérie française 1830-1962**, Éditions des 04 fils Aymond, paris, 1963, p 61.

2- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة** ، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1982، ص ص 203-204.

للحرب فقط، بل علمتنا القيام بها. لقد كشفت لنا القوي والضعيف من خصومنا، وجعلتنا نعرف إمكانيات هزمهم، ونعرف كيف نبقى سادتهم بعد الانتصار عليهم "[3].

لقد وجدت فرنسا الاستعمارية نفسها وجها لوجه أمام مجتمع يختلف كل الاختلاف عنها متمسكا بقيمه السامية وأرضه وأصالته وصدق وطنيته. التي تجسدت معانيها في مقاومته الشرسة للاحتلال، فمنذ أن وطأ الاستعمار هذه الأرض بدأت المقاومات الشعبية من خلال تعاقب الثورات في كل مكان، والجزائريين لا يخضعون للقوة عن طواعية، فكيف يمكن مواجهة هذا الموقف ؟.

عمدت السلطات الاستعمارية لقهر تلك القوة وإضعافها إلى انتهاج سياسة قمعية مستخدمة كل الوسائل والطرق، حيث كتب الدكتور اوجان بوديشون **Dr Eugene Bodichon(1810-1885)** قائلا : "**إن سياسة فرنسا في الجزائر، لن تخرج عن إطارها الأساسي هو أن تكون المستعمرة دائمة، والطريق الأقصر لتحقيق ذلك هو الرعب والتخويف، نستطيع أن نحارب أعداءنا الإفريقيين بالنار والبارود، وإثارة الفتن بين القبائل، وهو الطريق الأسهل** "[(4)]، وفي إطار سياسته العدائية تجاه كل ما هو جزائري فقد أصرَّ الاستعمار على استعمال كل الوسائل ضد العنصر المحلي:"...**الأسلوب الأنسب والأضمن لعقلية الإفريقي (الجزائري) هما العقاب والرعب...كونوا ملائكة القصاص أثناء الحرب...لا تتركوا أبدا عمل عدائي أو ثورة دون عقاب لان هؤلاء السكان يحتاجون إلى معاملة بقوة الحديد، وهذا يضعف تحركاتهم الطبيعية**[(5)].

وتجسيدا لتلك السياسة قامت فرنسا بإرسال مجموعة من الضباط العسكريين الباحثين عن المجد العسكري، فلم تكن عملية قتل السكان وتنظيم المذابح الجماعية عمليات معزولة حدثت خطأ، بل كانت طريقة وأسلوبا جاريا مارسته سلطات الاحتلال فعملية إراقة الدماء بمبرر أو بدونه هي ظاهرة التصقت بتاريخ الاستعمار في الجزائر، فبعد احتلال مدينة البليدة تلقى الجيش الفرنسي في 26 نوفمبر 1830 الأوامر من الجنرال برتروند كلوزيل **Clauzel Bertrand**(1772-1842)، بإحراق البساتين وذبح كل السكان لإحداث صدمة نفسية وبث الخوف والفزع لدى الأهالي، فقامت الحامية الفرنسية في 26 نوفمبر 1830 باقتراف مذبحة ضد سكان المدينة، فلم ترحم الشيوخ والعجائز والنساء و

3- دي توكفيل أليكس، **نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال الفرنسي والاستيطان**، ترجمة ابراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص119.

4 - Farhet Abbes, **la nuit coloniale**, Rêve fouillard, Paris, 1962 , P 61

5-Bodichon Eugene, **Hygiène a suivre en Algérie ,hygiène morale** ,imprimerie Rey Delavigne et compagnie ,Alger ,1851,pp8-26.

الاطفال الذين ذبحوا على صدر أمهاتهم، بينما لجأ البقية إلى الجبال، فأرسل إليهم مبعوثا وطلب منهم العودة إلى ديارهم سالمين، لكنَّه غدر بهم وذبح الجميع بدون استثناء[6]، وبذلك حول الضابط ترولير **Trolere** المدينة التي كانت تنبض بالحياة إلى مقبرة في بضع ساعات، امتلأت شوارعها بالجثث[7]، وتندرج هذه المجزرة في إطار تطبيق السياسة الاستعمارية ،إذ تم انتهاج مسار الإبادة الجماعية لاعتقادهم أن إبادة العنصر البشري سيسهل عملية احتلال الأرض والاستحواذ عليها و إخضاع الشعب الجزائري بأي ثمن، فلم تراع القوانين الإنسانية في القتال، وفقد جيشها الوازع الديني و الإنساني مما سمح له بممارسة العنف بسادية لا نظير لها. إن أغلب هؤلاء الضباط تأثروا ببطولات نابليون بونابرت **Napoléon Bonaparte(1769-1821)**، فجاءتهم الفرصة لإبراز بطولاتهم وشجاعتهم لاستعادة ما فقدوه من احترام وتقدير.

لاشك أن هؤلاء كانوا متحمسين لأداء مهمتهم على أحسن وجه بتدوين لمراسليهم ما جرى في البلاد من مناكر بعبارات فيها الكثير من الاعتزاز والافتخار، فحرب الجزائر كانت حربا مطلقة قام بها ضباط محترفون تجاوزت في غالب الأحيان هدفها الأساسي، ولم تحترم فيها أبسط حقوق الإنسان التي نصت عليها المواثيق الدولية منها إعلان حقوق الإنسان الذي جاءت به الثورة الفرنسية 1789، فهدفها بالنسبة إليهم ليست فقط إرغام السكان على طلب الصلح بل الحصول على المزيد من الأوسمة والرتب العسكرية.

لقد برز العديد من قادة الجيش الفرنسي الذين أرادوا صناعة بطولات وأمجادا على جثث النساء والأطفال ميزتهم القسوة والحقد ضد كل ما هو جزائري، فكان من بينهم الجنرال أن جون ماري روني سفاري دوق دوروفيغو **Anne Jean Marie Rene Savary duc de Rovigo**(1774-1833) - رجل ثقة نابليون بونابارت الذي قال:" **إذا لم نستطع تمدينهم فلا بد من إبعادهم بعيدا مثل الحيوانات المتوحشة، ورميهم إلى الأبد إلى الصحراء**"[8].

وتجسيدا لأفكاره قام في 06 ابريل 1832 بتوجيه أوامر إلى الجيش واللفيف الأجنبي تحت قيادة الجنرال فوداس **Faudos** بمشاركة العقيد ماكسيمليان جوزيف شوبيبرغ **Maximilien Joseph schaauenburg** بالخروج في الليل لمباغتة قبيلة العوفية(المتيجة) النائمة في خيمها، وذبحهم مثل الخراف دون شفقة ولا رحمة ودون

6-Victor. Anedee dieuzaide , **histoire de l'Algérie 1830-1878,** imprimerie de l'association ouvrière, Oran, 1880,p 164.

7- قنان جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص 115.

8- Farhat (abbes), op cit, P 61

التمييز في السن أو الجنس، وأثناء عودة الجنود من هذه الحملة المخزية كان الفرسان يحملون رؤوس الضحايا على رؤوس رماحهم للاحتفال بها[9] لأنّ الدوق دوريفيغو كان لديه إيمانا مطلقا بفكرة أن العرب لا يخضعون إلا بالسيف وأن الأتراك لم يستخدموا طرقا غيرها[10]،كما شوهد في سوق باب عزون أقراط النساء وهي مضرجة بالدم وأساور تزال مربوطة بالمعصم المبتور وبقايا اللحم لا تزال عالقة بها، أما شيوخ القبيلة فقد حوكموا من طرف مجلس الحرب الذي حكم عليهم بالإعدام، وبعد تنفيذ الحكم علقت رؤوسهم على باب عزون[11] لاعتقادهم أن ارتكاب لتلك المجازر سيضمن لهم السلم لعدة شهور.

شكلت هذه المجزرة الوحشية صدمة لدى السكان بقتل الأبرياء بدم بارد ظلما و عدوانا فاتخذت من الإبادة أسلوبا للاحتلال،ومن هول المجزرة كتب حمدان خوجة في 25 جويلية 1834 رسالة جاء فيها: " **نعم مجزرة العوفية مجزرة رهيبة وقعت على أبواب فرنسا وأروبا، لأنه وقع شك حول سرقة لأحد الشيوخ التي بلّغ عنها أحد اليهود الذي خدع جنرالات فرنسا، ولمجرد الشك تم في الليل ذبح قبيلة بأكملها، رجال ونساء وأطفال وشيوخ وحجزت الممتلكات ...إن هذا العمل لم يرتكب حتى في القرون المظلمة من تاريخ أوربا. إنها المُثل الإنسانية والحضارية التي تريدون أن تقدموها لنا**"[12].

سعت السياسة الفرنسية الاستعمارية ليس فقط للهدم والتخريب، بل لنزع الروح الإنسانية من الشعب الجزائري، فهذا النظام المستبد شأن كل الأنظمة الفاشية التي ليس لها مبدأ سوى القول بأن الغاية تبرر الوسيلة، وعمل مجرد من القيم التاريخية متنكرا للضمير الإنساني. إن الأفكار التمدينية التي تبناها الاستعمار هي في الحقيقة مهمة ضيقة الأفق قائمة على أفكار زائفة، وأغراض دنيئة لا تمت بصلة إلى القيم الإنسانية، واعتبر الضباط الفرنسيون الذين قدموا إلى الجزائر أن مهمتهم عبارة عن حملة للتجوال والبحث عن الكنوز التي سمعوا عنها، ففي هذا السياق ذكر الجنرال سانت أرنو **Saint Arnaud(1798-1854)** في مذكراته:" **كانت حملتنا في الجزائر حملة تدريبية أكثر منها عملا عسكريا ونحن الآن في وسط جبال مليانة لا نطلق الرصاص إلا قليلا، وإنما نمضي**

9-Christian Pierre, **L'Afrique française l'empire de Maroc et le désert de Sahara**, barbier éditeur, paris, 1846, p143.

10-Edmond Pélissier de Reynaud, **Annales algériennes**, librairie militaire, T1, J Dumaine, libraire-éditeur de l'empereur, nouvelle éditions, SD, p248.

11- Victor. Anedee dieuzaide, op.cit, p290.

12 - Mahfoud (khaddache), **L'Algérie des Algériens, histoire de l'Algérie 1830-1954**. Éditions, Rocher Noir, 1998, p 31.

وقتنا في حرق القرى والأكواخ فهناك أطفال ونساء اعتصموا بجبال الأطلس المغطاة بالثلوج، فماتوا هناك من الجوع والبرد"[13] ،فكل فرنسي يقتل متى أراد دون رادع قانوني أو أخلاقي، و سار على منواله الكولونيل لويس جوشول دو لامورسيير **Lamoricière Louis Juchault de(1806-1865)** سنة 1833 قائلا:"**إن الحرب عمل بشري ضد قوم لا ينفع معهم الكلام المعقول إلا إذا كان معززا بالحرب"**[(14)].

أمام هذه الجرائم شكلت فرنسا الملكية وباقتراح من المارشال جون دو ديو سولت **Jean de dieu Soult** (1769-1851) رئيس المجلس والملك لويس فيليب **Louis Philippe** (1773-1850) بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية خاصة في 07 جويلية 1833 عرفت بـ"اللجنة الإفريقية برئاسة الكونت بونى**Comte Bonet** لتقصي الحقائق في الجزائر، ودونت في تقريرها ما يلي :"**إذا وقفنا هنيهة على الكيفية التي عامل بها جيش الاحتلال الأهالي رأينا أنها كانت مناقضة لا للعدالة وحدها، بل حتى للعقل.لقد هتكنا شروط الاستسلام وكلمة الشرف واعتدينا على حقوق الأقوام، الأكثر منها بساطة وطبيعة، وبهذا أنكرنا جميع حقوق الأهالي، وهتكنا أعراضهم، واعتدنا على كيانهم .....لقد ألحقنا الأوقاف بالأملاك العمومية وشرعنا في تطبيق سلطاتنا بأعمال تعسفية، ووضعنا أيدينا على الأملاك الخاصة بدون تعويض....نعلم أن الحرب قد تفرض أعمالا ولوازم مستنكرة لا خيار فيها، لكن كان من اللياقة أن نتخذ في إنجازها وتطبيقها طريقة فيها شكل من العدالة لإخفاء ما فيها من فظاعة..... زججنا في السجون بأسياد القبائل بتهمة أنهم قد آووا الهاربين من الجندية، وزينا الخدعة باسم المفاوضة، ولقبنا المكايد الشنيعة بأعمال دبلوماسية. وخلاصة القول أننا جاوزنا في الأعمال الوحشية، البربر الذين جئنا لتمدينهم ومع ذلك نشكك أنّنا لم ننجح معهم"**[(15)].

وفي السياق ذي صلة خطب فرانسوا أكسافي جوزيف دافيد دوصاد **Desade François XavierJoseph David (1777-1846)** نائب بمجلس الأمة الفرنسي في 28 أبريل 1834 قائلا: "**في مدينة الجزائر حطمنا تسعمائة منزل دون سابق إنذار، واستولينا على ستين مسجدا، واستعملناها للمصالح العسكرية، وهدمنا عشرة منها. كنا كلما قمنا**

13-Armand Jacques Leroy Saint Arnaud, **Lettres du maréchal saint Arnaud (1832-1854)**, levy frere-editeurs,paris,p124.

14-Emérit Marcel, **les saints simoniens en Algérie**, société d'éditions les belles lettres ,paris ,1941,p59.

15–لاكوست ايف، برنيان أندري، نوشي أندري، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطنبولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 239-240.

بأعمال البناء ننبش القبور، ونبعثر العظام دون أي احترام"[16]، كما كلفت فرنسا الجنرال الفونس ماركي أتبول**Alphonse Marquis D'Hautpoul** (1789-1865) بمهمة تفتيش بإفريقيا سنة 1841، حيث ذكر أن الجيش الفرنسي كان أكثر صرامة تجاه العرب، فأثناء مكوثه في الجزائر شاهد تنفيذ حكما بالإعدام على جزائري من طرف الجنرال فرانسوا ماري كاسمير دونيغري **François Marie Casimir de Negrier (1788-1848)**بسبب سرقة في ليلة سابقة، وقبل قطع رأسه طلب أن يصلي ركعتين، الأمر الذي دفعه للتأكيد للجنرال على وحشية أساليبه فرد عليه إنها الوسيلة الوحيدة لنشر الرعب لدى العرب.

لقد غلبت على هؤلاء الضباط النزعة الوحشية والعدوانية بإبقاء الرعب في قلوب الأهالي الذين يرفضون الاستسلام، و كلما اشتدت المقاومة المسلحة كلما ازداد القمع ضراوة، فالفعل لم يكن فعلا فرديا معزولا، بل سياسة عامة نفذها بأحكام كل الجنرالات الفرنسيين، ففي رسالة الكولونيل فرانسوا جوزيف لوسيان دو مونتنياك **Montaignac François Joseph Lucien de**(1803-1845) الذي قال عنه المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان **André Julien Charles** :"**كان هذا الضابط البورجوازي الطبقة متحمسا إلى حد الجنون، وقد تعب من جز رؤوس العرب فأصبح يتطلع للدخول في معركة معهم**"[17]كتبها لصديقه إليزي دو مونتنياك **Elize de Montagnac** في 15 مارس 1843 من مدينة فيليب فيل **Philippeville** (سكيكدة) قائلا:"**...أيضا إن رأس مقطوعة تحدث رعبا أقوى من موت خمسين شخصا...كل العسكريين الجيدين الذين كان لي الشرف قيادتهم حذرتهم بنفسي أنه إذا جاءني أحدهم بعربي حيّ سأضربه بالسيف...هذه هي صديقي الطريقة التي نخوض بها الحرب ضد العرب يجب قتل الرجال فوق سن الخامسة عشر. لقد أخذنا نساءهم وأطفالهم وأركبناهم على متن السفن، وأرسلناهم إلى جزر الماركيز،وفي كلمة واحدة إبادة كل من يرفض الركوع تحت أرجلنا مثل الكلب**"[18].

دخلت هذه الحوادث في إطار سلوك مبيت ضد وجود أمة لاجتثاث جذورها الضاربة في التاريخ، بإضعافها بالقهر المعنوي والنفسي والجسدي، وتمت تلك العمليات بدون تأنيب للضمير، فقد ورد في رسائل مونتنياك: "**...نحن في غابة كثيفة، العرب يفرون الخيول ترمي بحمولتها، الإبل تهرب، النساء والأطفال المعلقين في الأدغال والمجبرون**

16- المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح**، مذكرات القسم الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 269

17-شارل أندري جوليان، **الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1982، ص45.

18-De Montagnac Lucien, **Lettres d'un soldat neuf années de campagnes en Afrique**, librairie Plon, paris,1885,p299.

على اجتيازها، يستسلمون لنا، إننا نقتل، نذبح، ويختلط صراخ القتلى والمروعين بأصوات البهائم الخائرة .إنّها جهنّم"[19].،وفي مشهد آخر من الرعب والتوحش وبكل برودة دم يضيف قائلا:" **الأرض التي نجتازها مغطاة بجثث الماعز والغنم الميتة بسبب البرد الشديد. نساء وأطفال مضجعه في الأدغال ميتة أو تحتضر"**[20].

وبذلك فإن هذه الحرب المسلطة على الشعب الجزائري منذ بداية الاحتلال وتكالب الغزاة هي من الأعمال المدفوعة بإرادة معينة، إذ لابد من زرع الخوف في نفوس السكان والتسلط على أرزاق الناس وإرغامهم على الخضوع، لكن من جهة أخرى فإن درجة القمع التي بلغها المحتل تؤكد على قوة المقاومة الشعبية، وإصرارها على عدم الاستسلام، والرفض لهذه السياسة، لأن الاستعمار أراد أن يقتل بداخل الإنسان الجزائري تلك الشعلة التي تدفعه دائما إلى المقاومة، فهل يمكن لبلد يدّعي أنه أنتج أفكار التسامح والعدل والأخوة قد أرسل أناس متوحشون، سفاحون حتى وصل الجزائريون إلى درجة القول ظلم الأتراك ولا عدالة الفرنسيين، وهناك بعض الضباط من الجيش الفرنسي لم يتأثروا بمناظر الوحشية فهذا الكولونيل إيلي فريدريك فوري**Elie Fréderic Forey(1804-1872)** قد سجل في تقريره:" **أعتقد أني أديت مهمتي بضمير حي، فلم أترك أي قرية ولا شجرة ولا حقل إلا دمرته، فالظلم الذي اقترفه الطابور لا يحصى، هل هذا خير أم شرٌّ، المستقبل هو الذي سيجيب. بالنسبة لي هذه الوسيلة الوحيدة لإخضاع وتهجير السكان"**[21] .

2- عقيدة الإبادة الجماعية في السياسة العسكرية الفرنسية :

قررت السلطات الفرنسية عزل الجنرال سيلفان شارل فالي **Sylvain Charles Valey** (1773-1846) وتعيين الجنرال توماس روبار بيجو ماركيز دو لابيكونيار دوق ديزلي **Thomas Robert Bugeaud marquis de la piconnerie duc d'Isly(1784-1849)** بالجزائر -الذي لُقِّب من قبل جنوده" **الأب بيجو**" لإرساء قواعد الاستعمار، وخلال فترة حكمه الممتدة من1841-1847 سلك طريق القهر والعنف وحرب الإبادة حيث عرفت فترته "**بالعهد المظلم**"، ولتطبيق سياسته استعان بعسكريين توفرت فيهم كل صفات الإجرام من بينهم الكولونيل لويس اوجان كافينياك **Louis Eugene Cavaignac (1802-1857)** الذي

19- Ibid., p 214.
20 -Ibid., p218.
21 - De castellane Louis Charles Pierre, De castellane ,**campagne d'Afrique(1835-1848)**,lettres adressées au Marechal de castellane ;par les maréchaux Bugeaud ,Clauzel, Valée, Canrobert, Forey ,Bosquet, et les généraux Changarnier, Delamoriciere, Leflo, Denegrier,De wimpffen,Gler,ect.. Librairie Plon, paris 1898, p311.

استخدم طريقة تشبه الإعدام في غرفة الغاز، ولتطبيق طرقه على أرض الواقع خرج في عملية عسكرية سنة 1844 بمنطقة الشلف متوجها إلى قبيلة بني صبيح الهلالية التي لعبت دورا فعالا في مجابهة الاستعمار وصنعت مقاومة شرسة قد اعتصمت بالمغارات ورفض أفرادها جميع الأوامر التي صدرت إليهم بالاستسلام ،عندئذ أصدر الكولونيل أمره بمهاجمة إحدى المغارات بتفجير لغم وإشعال نار كبيرة أمام مدخل المغارة، وفي اليوم التالي اضطر المحاصرون الذين مات بعضهم اختناقا على الخروج، وتكررت العملية في 29 مايو بالهجوم على قبيلة بني زروال الذين لم يترك لهم مجالا سوى اللجوء إلى المغارات العميقة تحت جبال الظهرة، فأشعل النار أمام مداخلها مما تسبب في مقتل كل أفراد القبيلة [22]، وهذا ما يوضح أن القبائل الجزائرية أبت الاستسلام وفضلت المواجهة والموت .

لقد ظلت لغة العنف هي المسيطرة على عقول كل العسكريين الفرنسيين الذين لا يتوقفون في عملهم في إنهاك المستعمَر وتحطيمه، إلا إذا أعترف اعترافا صريحا بتفوق المستعمِر، فقد كتب جون جوزيف فرانسوا بوجولا **Jean Joseph François Poujoulat** (مؤرخ وصحافي وسياسي فرنسي 1808-1880) الذي كان وثيق الصلة بالمارشال بيجو قائلا:" **قال لي المارشال بيجو يوم قابلته منذ سنتين في منزله بمدينة الجزائر، ماذا جئنا نعمل في إفريقيا؟ فأجبته لكي نواصل العمل الذي بدأه غوديفروا ولويس السابع وسان لويس...ثم أنهى كلامه قائلا إن الحرب التي نقوم بها في إفريقيا إنما هي تكملة للحروب الصليبية وتحرير أوربا من العار...فنحن جئنا إلى أرض إفريقيا إرث الرومان**[23]،ويظهر من خلال ذلك أن **بوجولا** قد تبنى أفكارا تدعو إلى استعمال العنف بكل وحشية دون مراعاة للمبادئ الإنسانية ووفق المنطق المكيافلي، وفي هذا الشأن أضاف قائلا:" **أحييك يا كنيسة إفريقيا الجديدة، يا بنت القديس سبيريان وأوغستين. لقد بعث من القبر بفضل عبقرية بلادي وإيمان أبنائها، وأنا فخور أن أراك قد انتعشت تحت راية فرنسا**"[24].

لم تكن الوحشية الاستعمارية ضد السكان العزّل فعلا فرديا منعزلا عن السياسة العامة لفرنسا، إنما هي استراتيجية تبناها كل القادة العسكريين وطبقوها بكل سادية، حيث نجد بعد الاطلاع على العديد من الرسائل و التقارير التي كتبها هؤلاء تؤكد مما لا شك فيه أن العنف ظل الوسيلة الوحيدة لتمكين الاستعمار من أرض الجزائر، ففي رسالة بعثها بيار كاستيلان في 28 مارس 1844 إلى المارشال بيجو طرح فيها الطرق الكفيلة بإنجاح العمل

22-Rousset Camile, **la conquête de l'Algérie 1841-1857**, Plon et Cie, imprimeurs-éditeur, Paris, 1889, p115.
23-Jean Josep François poujoulat, **voyage en Algérie études française,** nouvelle éditions, librairie d'éducation, Paris, sd, p290.
24 -Ibid, p324.

العسكري قائلا:"...**لقد بقينا لعدة أيام في مخيمنا، حطمنا أشجار التين وأتلفنا المحاصيل، ولم نغادر المكان حتى تركناه مدمرا كليا، وهو أمر صعب لكنه مطلوب...يجب إعطاء درس قاسي لهؤلاء السكان، فالعرب لا يفهمون إلا بالطرق الوحشية**"[25].

اتسمت سياسة "بيجو" بوحشية لا نظير لها وفق المبادئ التي يؤمن بها أحرز بمقتضاها على لقب قاهر الجزائر، فقد كتبت جريدة "**القرن**" عدة مقالات في نهاية سنة 1842 ذكرت فيها جرائم الجيش الفرنسي فالجنود يسرقون، يقتلون، ويغتصبون النساء والفتيات ويذبحون الأطفال"[26]،وارتكزت فلسفته لاحتلال الجزائر على القيام بحملة كبيرة في إفريقيا تشابه الحملة التي قام بها الفرنجة والقوط، و كانت هذه الأمثلة بمثابة قدوة للضباط الفرنسيين لشن حملات الإبادة والتخريب[27].

نالت جرائم بيجو ضد السكان العزل شهرة واسعة في الأوساط العسكرية والأدبية والتاريخية التي أنجزت العديد من الدراسات، فقد قال عنه الكاتب الفرنسي بيتواز **Pitois** أنه شن حرب تخريب وعاد إلى الأسلوب المبني على الغزو والتخريب المسبق للمناطق غير الخاضعة، وكانت الحرب طويلة وشرسة ومفسدة للجنود والضباط الذين درّبوا على فقدان الشعور، ووصفها "الجنرال" أنها اصطياد للبشر، وكان يتغاضى عن أبشع التجاوزات وأعمال العنف وكلفت من الأرواح البشرية أكثر من أي غزو استعماري آخر"[28].

لقد آمن بيجو بضرورة توطيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر والقضاء على مقومات الجزائريين وإحلال الإنسان الأوروبي محل العربي متبنيا سياسة الأرض المحروقة التي هي وحدها الكفيلة بإضعاف قدرات الشعب الجزائري حيث أكد: " **قبل أن نحكم وننتصر يجب على الأهالي أن يقبلوا قواتنا. هناك ألف دليل على أن أنهم لا يقبلوننا إلا بالقوة، وهذه القوة تظل عاجزة إذا لم تؤثر على الأشخاص والمصالح، فإذا استمرينا في مراعاة الشعور الإنساني ستظل الحرب في إفريقيا قائمة إلى الأبد، وفي هذه الحالة لا نستطيع**

25-De castellane Louis Charles Pierre, op.cit,p 339.

26-Démontes (Victor), la rose (Emile), **La colonisation militaire sous Bugeaud**. Paris, 1917, p 179.

27 - El moudjahid, N° 45, 06 juillet 1959.

28- أجيرون شارل روبار، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 35.

إدراك هدفنا الوطني"[29] ،وبعدها ألقى خطابا في البرلمان استعرض فيه استراتيجيته فيما يخص حرب الجزائر محتجا على الإجراءات التي اتخذت، واقترح شن حربا وحشية لا هوادة فيها باستعمال قوات كبيرة العدد ضد السكان الذين اعتبرهم متوحشين غير متحضرين ومتخلفين ذهنيا وفكريا[30]، لذا اقترنت فترة حكمه بأبشع الجرائم التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا .

بدأ "بيجو " بتجسيد استراتيجيته بارتكاب أفظع الجرائم ضد السكان العزل فمنذ 1842 وفي عهد "سانت أرنو"لم تعرف الجزائر في تاريخها قمعا أكثر ضراوة ضد شعب لا يملك وسائل الدفاع، في الطرقات، في الدروب، في الشعاب، في الأودية ليس هناك إلا الجثث المقبورة أمضت فيها الأفواه المدماة للكلاب الجائعة تحت التجمع المحزن للنسور[31]، ولعل أفظع الجرائم التي اقترفها وأعوانه جريمة غار الفراشيش بالظهرة، حيث أمر الكولونيل ايدموند بيلسيي دورينود **Edmond Pelessier de reynaud**(1798-1858) بقتل أولاد رياح بالدخان:" **إن جاءك أولئك اللصوص إلى كهوفهم فافعل معهم مثلما فعل كافنياك بقبيلة بني صبيح. شدد في تدخينهم حتى يموتوا كالذئاب** "[32].

بعد نجاح القوات الفرنسية في معركة ايسلي[33] ونهاية الحرب مع المغرب، بدأت تحركات القبائل بداية من شهر يناير 1845 في نواحي الظهرة ووادي الشلف[34] عرفت عند الفرنسيين بانتفاضة الطرق الصوفية، شاركت فيها كل من الطرق القادرية، الرحمانية الدرقاوية، والطيبية، وكانت قبيلة أولاد رياح التي شاركت في الانتفاضة تقطن جنوب تنس والتي عبرت عن رفضها للسلطة الفرنسية، ولم يتجرأ أي أحد على ملاحقتها في المتاهات الطبيعية التي شكلت عائقا طبيعيا يحمي مضارب القبيلة من أي خطر، وحسب

29- بوعزيز يحي، **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب 1830- 1854**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 131.

30- جريدة المقاومة، العدد 17، 17 جوان 1957

31- العلوي محمد الطيب، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص 209.

32- لاكوست ايف، وآخرون. المرجع السابق، ص 286.

33-هي معركة قامت بالقرب من مدينة وجدة بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي في 14 أوت 1844 بسبب مساعدة السلطان المغربي المولى عبد الرحمان للمقاومة الجزائرية، انتهت بانتصار الفرنسيين وفرضهم شروطا قاسية على المغرب.

34 -Revue Africaine, volume 51,1907,l'affaire des grottes du Dahra 1845,p119.

الرواية الفرنسية فقد كان العقيد بيليسي الوحيد الذي له دراية بالمنطقة لذا كلفه الجنرال بيجو بمهمة القضاء عليها، فوضع أمامه ثلاثة خيارات[35]:

- فرض حصار على القبيلة مما سيسمح للسكان بالرد السريع.
- رفع المعسكر مما سيسمح بتدعيم المقاومة الشعبية.
- الإبادة الجماعية

اقترح الحاكم العام على بليسيي فكرة قديمة طبقها الإسبان في أمريكا من خلال تهديد القبائل بخنقهم داخل الكهوف باستعمال النار والدخان، لاعتقاده أن هذه الطريقة من شأنها وقف المقاومة الوطنية[36]،بيد أن القائد لم يكن مقتنعا لا بالخيار الأول ولا بالثاني، لأن الكتابات الفرنسية –سنتطرق إليها- حاولت من خلال ذلك تبرير اختياره الحل الثالث جاء كرد فعل على رفض السكان الاستسلام ومقاومتهم الشديدة، وفي هذه الظروف غادر بيليسي في 17 جوان 1845 منطقة أروسفيل **Orleansville**(الشلف) بأغلبية جيشه وتوغل في منطقة الظهرة مطبقا سياسة الأرض المحروقة بقطع الأشجار المثمرة وحرق المنازل، ففرت قبيلة أولاد رياح وهي تحارب إلى غار محصن يسمى "غار الفراشيش"،الواقع بجبال الظهرة بلدية النكمارية شرق ولاية مستغانم حاليا(يمتد طولها حوالي 200 متر) وكان عددها ألف شخص[37] منهم رجالا ونساء وأطفالا مع حيواناتهم، فتوجهت كتيبة مكونة من الخيالة والقومية من أجل معاينة المغارة وبعد وصولها إلى مشارفها فرّ خمسون(50) شخصا إلى الداخل بإطلاق وابل من النيران[38]،فقام بيليسي بتوجيه إنذار إلى الأهالي يهددهم فيه بعزمه إحراق المغارة.

مع بداية الساعة العاشرة صباحا من يوم 18 جوان طوقت المغارة كتيبتين ونصف من مدفعية الجبال والفرسان والقومية، وعندما عجزت عن اقتحامها ضربت حصارا على الغار طالبة من القبيلة الاستسلام، فردت بإطلاق الرصاص،فقام بيليسي بجلب أكداس الخشب وأكوام التبن المتواجد بكثرة في الحقول، ووضعها أمام المدخل الشرقي والغربي للكهف مغلقا بذلك كل المنافذ حتى لا يسمح لأي عضو من القبيلة بالنجاة،لتتأكد

35 -Fillias Achiles, **histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie 1830-1860**,Arnaud devresses, librairie-editeur,1850,p315.
36 -Plèe Léon, Abdel Kader, **nos soldats nos généraux et la guerre d'Afrique**, publie Gustave barba, librairie –éditeur, paris, p56.
37 -Revue Africaine, volume 51, op.cit., p119.
38-Clara Filleul De Petigny, **L'Algérie**, tours pornin et Cie,imp-Editeurs ,1845,p184.

النية المبيّتة للاستعمار بقتل وإبادة كل من في الغار، ثم أشعل النار ليجبر القبيلة على الخروج بالاستعانة بمزيد من التعزيزات العسكرية وبمزيد من الحطب لإبقاء ألسنة اللهب مشتعلة والدخان كثافة لإظهار للمحاصرين أنهم معرضون للاختناق، ثم قام العقيد ببعث رسائل لإغرائهم بإبقائهم أحياء وأحرارا[39]،وفي هذه الأثناء قامت مجموعة من القبيلة بالتفاوض مع الفرنسيين لإنقاذ على الأقل الأطفال والنساء، لكنّها انتهت بالفشل. وفي اليوم الموالي أي 19 جوان تجددت المفاوضات على الساعة التاسعة صباحا غير أنها لاقت المصير نفسه.

تجددت الاتصالات بين الطرفين في 20 جوان حيث أرسل بيلسي مفاوضين من السكان المحليين بداية من الساعة السابعة واستمرت إلى غاية العاشرة صباحا واشترط عليهم نظير نجاتهم وضع الأسلحة التي بحوزتهم، وبعد تردد خرج البعض من الرجال وطالبوا بانسحاب الجيش من المنطقة، إلا أن هذا الأخير رفض هذا الطلب واعتبره شرطا غير مقبول، عندئذ عاد الرجال إلى المغارة وأطلقوا الرصاص على المبعوثين الذين سقط أحدهما قتيلا، ليجد بيليسي الفرصة السانحة لاستعمال الطريقة التي اقترحها عليه الحاكم العام في الحالات الطارئة، فحسب الرواية الفرنسية كان الغرض من وراء ذلك هو إرغامهم على الاستسلام وليس لقتلهم[40]،غير أن وقائع الأحداث أكدت العكس بعدما ظلت النار مشتعلة طيلة يوم 18 جوان.

ومحاولة لتبرأة الجيش الفرنسي ذكرت الرواية الفرنسية أن بعدما رفض أولاد رياح العرض المقدم شرعوا في إطلاق النار فلم يجد بدا من تأجيج النار مع بداية الليلة والتي استمرت طيلة النهار وإلى غاية الليلة التالية، وقبل طلوع النهار بساعة وقع انفجار مهول في قلب الغار[41]،فخفت الأصوات ولم يعد يسمع سوى فرقعة الحطب الأخضر، وطقطقة الأحجار من شدة الحر، وعلى الساعة الواحدة ليلا أمر بيليسي بوقف إشعال النار والتوجه إلى عين المكان لمراقبة الوضع، غير أن الجنود لم يتمكنوا من العبور إلى الكهف إلا بعد الساعة الرابعة صباحا[42]،حيث قامت سرية عسكرية في 21 جوان متكونة من ضابطي الهندسة وضابط المدفعية وفصيلة مكونة من خمسين إلى ستين جنديا من الوصول إلى داخل المغارة لترتسم لوحة سوداء تظهر بها أم مختنقة في لحظة دفاع عن ابنها ضد ثور

39 -Moniteur universel, N°193,12 juillet 1845,p2117.
40 -De Mond Rond, **histoire de la conquête de L'Algérie de 1830-1847**, impremerie de.E.Marc-Aurel,Tome 2 ,Paris,1847,p361.
41-Bessaih Boualem, de **l'Emire AEK alimam chamyl**, Editions dahlab, Alger, 1997, P 118.
42 -Ibid, p363.

في حالة هيجان وهي ماسكة بقرنه، وزوجان ملتصقان مع بعضهما البعض، والرضع مبعثرين أشلاء بين المئونة، وآخرين مخبئين في ثياب أمهاتهم[43] ،بينما قدمت لنا الجريدة الإفريقية مشهدا آخر للمأساة، فقد لاحظ أحد الجنود أنّ كل الجثث كانت عارية متشنجة ذات رائحة كريهة وكل الوجوه متجهة نحو الأرض بحثا عن الهواء، والدم يخرج من الفم والأنف[44]،كما ذكرت الرسامة الفرنسية ومؤلفة قصص للأطفال كلار بولين فيلولClara Paulline Filleul de petigny(1822-1878) في كتابها الموسوم"**الجزائر**" Algérie قائلة:...**لا يمكن أن نقدم فكرة عن المشهد المرعب بداخل المغارة ،كل الجثث كانت عارية في حالة تشير إلى التشنج الذي عانى منه الأهالي قبل الاختناق والدماء تخرج من الفم، لكن المشهد الأكثر رعبا هو اختلاط الأطفال الرضع مع بقايا الأغنام**"[45].

وعلى الرغم من هذا المشهد غير الإنساني وحينما دخل الجنود الفرنسيون للمغارة تجردوا من كل المشاعر الآدمية وراحوا يبحثون عن حلي النساء واستولوا على كل الأشياء التي كانت بحوزة الموتى، واخذوا برانس الرجال الملطخة بالدماء [46]،كما سجل الكاتب ارتور بنرواي Arthur Ponroy (1816-1876) في كتابه الموسوم بـ" المارشال بيجو وقائع معسكرات ومنبر" نفس الصورة، فقد كتب قائلا:"...**عندما اخترق جنودنا المغارة تراجعوا من هول الجريمة. مشهد الموت والاحتقار والذي ليس لدي الشجاعة لوصفه، لكن علينا أن نفهم الحرب لا رحمة فيها ولا ضعف**"[47].

اختلف المؤرخون حول عدد الضحايا فمنهم من ذكر أن العدد وصل إلى 750 شخصا والبعض الآخر 800 شخصا، أما التقرير الرسمي فقد أشار إلى 500 شخصا[48]، بينما تشير مصادر أخرى انه تم إحصاء 800 شخص منها 760 ميتا ،و20 شخصا لاقوا حتفهم بعد إخراجهم من المغارة[49]،أما جريدة مونتير **Moniteur universel** فقد أحصت عدد

43-Fillias Achiles, op.cit, p316.
44- Revue Africaine, volume 51, op.cit, p116.
45 -Clara Filleul De Petigny, op.cit, p187.
46 -Idem.
47-Ponroy Arthur, **le Marechal Bugeaud, récit, des champs, des camps et de la tribune**,Michel levy frères,éditeurs, paris,1849,pp68-69.
48- سعد الله أبو القاسم ،**الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 240.
49 - De Mond Rond, op.cit, p364.

الضحايا بـ 500 شخصا[50]،بينما قدمت جريد" **الجزائر**" رقما آخر 490 ضحية في المغارة الأولى الكبرى و30 ضحية في المغارة الثانية،ولم يبقى على قيد سوى 110 شخصا[51]،والجدير بالملاحظة أن هذا العدد لا يأخذ بعين الاعتبار الأطفال الرضع الذين كانوا ملتصقين مع أثداء أمهاتهم، أو داخل ثيابهم، أو الذين هاجمتهم الحيوانات ومزقتهم بداخل الغار.

أثارت مجزرة الظهرة ردود فعل متباينة فهي جريمة لا يمكن أن يتصورها العقل البشري ارتكبها ضباط فرنسيون جاءوا لنشر الحضارة والتمدن، فالقوانين العسكرية التي توجد في أي بلد ترسي قواعد الانضباط وتنشئ أدوات لمعاقبة مرتكبي الأفعال التي تنتهك حرمة الإنسان فقد كتبت جريدة **Le National Républicain** حول هذه الأحداث: "**هذا الحدث لا يساعدنا على نشر حضارتنا بإفريقيا ندعي أننا نحن الأحسن متنورين عقلانيين أكثر تحضرا من العرب، ماذا أظهرنا لهم ؟ رجال يحرقون الأغلال، يدمرون الحيوانات، ويخنقون الأطفال والنساء في المغارة، فبدلا من تقديم مُثل الإنسانية، نخترع وسائل وحشية. كيف سينظرون لحضارتنا التي ادعينا أننا جئنا من أجل نشرها** ؟[52].

أما جريدة المناقشات **Journal des débats** فلم تتوان بالوقوف إلى جانب السفاحين ودافعت عنهم بكل شراسة، فقد هاجمت كل من قال أو كتب كلاما غير لائق عن ضباط الجيش الإفريقي الذين لم يكونوا حسبها المسئولين المباشرين عن هذه الكارثة الفظيعة، بل حملت قبلية أولاد رياح مسئولية ما حدث، وبررت أن بيليسي لم يكن أمامه إلا هذا الحل فكتبت قائلة:" **يحدونا الأمل أن يكون لهذا الحياد الجدير بالثناء وبعد قراءة الرواية، أننا سنقف ضد كل التصريحات الغاضبة من ضباط جيشنا الإفريقي حول الكارثة المرعبة والتي نتأسف عليها، فهي تدخل ضمن أقصى حدود تطرف الحرب...في تلك الظروف طرحت ثلاثة طرق لجر العدو للمصالحة، إما الهجوم بقوة كبيرة، أو حصارهم ،أو إحراقهم لإجبارهم على الخروج من المغارة، فالهجوم على المكان الذي نجهله سينجم عنه خسائر كبيرة من الجنود الفرنسيين، أما الحصار فلن يكون عمليا بحكم أن القبيلة قد خزنت كميات ضخمة من المئونة في المغارة، فلم يبق إلا الحل**

50 -Moniteur Universel, op.cit., p2117.
51-Journal L'Algérie courrier d'Afrique, d'orient et de la méditerranée, N°111,26 juillet 1845.
52-Quiral pierre, **Les militaires à la conquête de l'Algérie.** Creterion, paris, 1992, pp 32-33.

الثالث حيث أن إشعال النار بمدخلي المغارة ودفعها نحو الداخل من شأنه إرغام المتمردين على الاستسلام"[53] .

بعد وصول خبر الجريمة إلى مجلس النواب الفرنسي أعرب أعضاؤه عن قلقهم، وطالبوا من وزير الحربية "المارشال جون دو ديو سولت **Jean De Dieu Soult** (1769-1851) تقديم إيضاحات غير أنه وقف متخاذلا بقوله:" **استنكر هذا الفعل وأنا جد متأسف"**[54]، أما "بيجو" فقد قدم احتجاجا لدى الوزير دفاعا عن بلييسي الذي اعتبره بطلا قدم خدمات جليلة لفرنسا بإفريقيا جاء فيه:" **يؤسفني أن أراك متحاملا بدون تحفظ على سلوك الكولونيل بيلسيي، وأرى لزاما على نفسي أن أعتبر الكلمات الصادرة عن النواب في 11 جويلية غير لائقة، لأنها ستحدث أثرا سلبيا على الجيش، وأنا أرى مراعاة القواعد الإنسانية تجعل الحرب في إفريقيا تمتد إلى ما لا نهاية، كما أن الثورة فيها لن تخمد أبدا، فيجب أن تكون الحرب في إفريقيا بدون رحمة "**[55].

لم يتوقف موقف بيجو عند هذا الحد ،بل سعى إلى تكريم المسئولين عن تلك المجازر فنال العديد من العقداء الفرنسيين على الألقاب كمكافأة لهم ، غير أن المارشال بيجو أصر على أن يتم ترقية بيليسي قبل أي أحد من هؤلاء[56]،وفي الاتجاه نفسه ذهب وزير الحربية الجنرال ألكسندر مولين دو سانت يون Alexandre Moline de saint yon (1845-1847) مدافعا عن مقترفي الجريمة أمام غرفة اللوردات لتقديم التبريرات والتفسيرات قائلا:"**...يعتبر العقيد بيليسي من بين أشرف ضباط الجيش الإفريقي وكنت دائما أكيل له المديح...لقد وجد نفسه في وضعية معقدة و الأكثر إحراجا ،فما كان عليه إلا إخضاع الثوار الذين خلال أيام سبقت قد قتلوا جنودنا، وهذه المرة الثالثة أو الرابعة التي يلجأ فيها السكان إلى المغارات، ففي سنة 1842 حينما كان المارشال بيجو يجوب وادي الشلف من أجل تهدئة القبائل أرسل مفارز إلى عين المكان، وقد وقف جنودنا أمام مداخل المغارات من أجل السلم، لكنهم استقبلوا بوابل من الرصاص فأصيب**

53 -Journal Des Débats politiques et littéraires ,27 juillet 1845.

54 -Fillias Achiles, op.cit. p316.

55- الأشرف مصطفى، مصطفى، **الجزائر الأمة والمجتمع**،(ترجمة حنفي بن عيسى)،دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ، ص 113.

56-Journal L'Algérie courrier d'Afrique, d'orient et de la méditerranée, N°165,17 Avril 1846.

أغلبيتهم بجروح ،وفي الغد وجدوهم مشوهين ...هل تعتقدون وفي تلك الوضعية أن الرجال كان لهم قدر من السخاء من أجل نسيان الجرائم الماضية"[57].

كما لم تتوان العديد من صحف تلك الفترة في الدفاع عن مرتكبي المجازر واعتبرتهم من الأبطال الذين دافعوا عن شرف فرنسا، فهذه جريدة **لومنتير الجزائرية Moniteur algérienne** كتبت مقالا مطولا ردت من خلاله على الاتهامات التي طالت الجنرال بيليسي قائلة:"**لقد اتهم الإعلام في كثير من الأحيان الجيش الإفريقي بإحراق المحاصيل وتدمير القرى وإتلاف الأشجار، وأيقظت أحداث مغارات أولاد رياح بالظهرة حساسية الرأي العام...كل القبائل التي اعتقدت أنها منيعة، وأنها كانت دائما ما ترفض دفع الضرائب، وقد عرض بيليسي على القبيلة الاستسلام وبدأ مفاوضات التي انتهت إلى الفشل. هل كان على بيليسي الانسحاب ؟...لم يبق أمام سانت أرنو سوى استعمال الوسيلة التي أوصى بها الحاكم العام في الحالات الطارئة ...هذا الحدث لم يكن أكثر بربرية من أحداث أخرى وقعت بأوروبا، فالحرب والسياسة وحتى الإنسانية أرادت استخدام كل الطرق من أجل تحقيق الهدف"**[58].

و في مقال آخر واصلت الجريدة تقديم تبريراتها التي جعلت من الجيش الفرنسي وقياداته أبطالا على حساب أرواح الجزائريين العزل الذين كان ذنبهم الوحيد رفض الاحتلال، حيث كتبت قائلة:"**...في مثل هذه الظروف جنودنا يرون منذ مدة طويلة مشاهد بربرية مرعبة لإخوانهم الذين قتلهم العرب...إننا نسينا بفرنسا قطع رؤوس الفرنسيين من قبل العرب...إننا نسينا بسهولة الخيانات العديدة المقترفة من قبل القبائل العربية...فالعرب لا يعرفون سوى القوة لردعهم. بالنسبة إلينا فإن الكولونيل بيليسي**[59] **تصرف كما ينبغي فهو يستحق الثناء. إن فرنسا لم تحارب عدوا مثل العرب في كل العالم"**[60].

لكن علينا أن نطرح العديد من علامات الاستفهام حول هذه الجريمة ،لماذا تم غلق مدخلي المغارة؟ هل فعلا استخدمت فقط حزم الخشب وأكوام التبن والقش الموجودة في عين المكان؟ ألم تستعمل مواد أخرى أكثر خطورة؟ .إن الإجابة على هذه

57-Journal L'Algérie courrier d'Afrique, d'orient et de la méditerranée, N°110,22 juillet, 1845.

58 -Moniteur Algérienne, N°695 ,15 juillet 1845.

59- دكر أبو القاسم سعدالله أن بيليسي قد مات بعد عشرين سنة وأشباح قتلى غار الفراشيش تطارده ،ينظر إلى كتاب الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900،الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1992نص 231.

60 -Moniteur Algérienne, N°696 ,20 juillet 1845.

التساؤلات تجرنا للبحث عن الخلفيات الحقيقية للجريمة، وفي اعتقادنا أن هناك حيثيات غيبت عن المشهد الحقيقي لعدم اتهام الجيش الفرنسي بارتكابه جريمة مع سبق الإصرار والترصد بحيث عرفت المنطقة انتفاضة الشريف محمد بن عبد الله المدعو بومعزة التي اندلعت سنة 1845 بتأييد من قبيلة أولاد رياح، وبالتالي فهي عملية انتقامية، أما المواد المستخدمة لم تقتصر فقد على المواد الطبيعية، بل أشارت **كلارا فيلول** في كتابها السالف الذكر أن الجيش الفرنسي اصطحب معه خمسين بغلة محملة بالمواد الشديدة الاحتراق[61]، مما يؤكد حسب اعتقادنا أنّ فرنسا من خلال تلك الجريمة قد جعلت من الجزائريين أداة لتجريب الغازات الحارقة أو ما اصطلح عليه في القرن العشرين بالهولوكوست.

3-استمرار القمع وتصفية المقاومة الشعبية

اعتقدت سلطات الاحتلال أن توقف مقاومة الأمير عبد القادر سيمكنها من ترسيخ وجودها بالجزائر، ولم تدرك حقيقة الانسان الجزائري الذي لن يستسلم مهما كانت الظروف، ورغم كل تلك الأفعال الشنيعة التي سعت من ورائها إجهاض المقاومة الشعبية، إلا أنها تواصلت في مختلف بقاع البلاد، ففي 1849 بدأت مقاومة الزعاطشة وجه الجيش الفرنسي تعليمات بقتل جميع الأحياء من الرجال والنساء والأطفال، ثم اندلعت ثورة الشريف محمد عبد الله 1851 بالأغواط التي ارتكب فيها الفرنسيون الفظائع فاستَّحلوها ثلاثة أيام يقتلون الناس بالجملة ويرمون جثثهم في الآبار، وظلوا طيلة ثمانية أيام يقتلون المستسلمين عشرة فعشرة وخمسة عشر حتى حفيت السيوف، وسلبوا النساء حليهن واعتدوا على شرفهن[62]،وقد صور لنا العديد ممن شاركوا في احتلال المدينة الفظائع التي ارتكبها الجيش الفرنسي ، و من بينهم العقيد بانPein .M.Th حيث ذكر قائلا: "**كانت المذبحة شنيعة، الشوارع مغطاة بالجثث وعدد القتلى 2300 شخص رجال، نساء، اطفال، أما عدد الجرحى غير معلوم، فقد كان الجنود الفرنسيون ينتقلون من بيت إلى بيت ويطلقون النار دون تمييز من حيث الجنس أو السن**[63] ،كما ذهب الملازم مانجان Mangin في الاتجاه نفسه حيث كتب قائلا: "**أن عدد القتلى وصل إلى**

61 - Clara Filleul De Petigny, op.cit, p184.

62- بوعزيز يحي، **ثورات القرن التاسع عشر، والعشرين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1984، ص 95.

63-Pein Theodore Louis Auguste, **lettres familiers sur L'Algérie un petit royaume**, ch, tanera, librairie, paris, 1871, p371.

2500 شخص وعدد الجرحى غير معروف، وقد كان الجنود الفرنسيون يدخلون المنازل ،يقتلون كل من بداخلها بدون رحمة[64]

كان تشجيع تلك الجرائم وسيلة للقيادة العليا لإشراك الجنود في ارتكابها، فبعد احتلال منطقة القبائل سنة 1857 حُدِّد ثمن أذون الأهالي بعشرة فرنكات للزوج، ومثلت النساء فرائس سهلة المنال مثل الرجال، ففي أحد مناطق الجنوب التي لم تعرف أي عملية عسكرية تم جمع برميلا من الأذون مجموعة أزواجا أزواجا[65]،وفي السياق نفسه تطرق الصحفي والكاتب السياسي ليون هوغونات **Leon Hugonnet(1842-1910)** في كتابه الأزمة الجزائرية والديمقراطية **La crise Algérienne et la dém**ocratie إلى السياسة الاستعمارية الظالمة تجاه المجتمع الجزائري قائلا:"**...لنتذكر أن السيف هو أخطر خصم للقانون وفي الجزائر صهرنا حديدنا، ولا يجب أن ننسى بما أن الجزائر على عاتقنا فإننا نحتاج لجيش دائم، ومع الجيش الدائم يعني حرية قليلة وديمقراطية منعدمة**"[66]،ثم أضاف:"**...إلى غاية 1847 وهو تاريخ التهدئة تحول التخريب إلى نظام عام. لقد حطمنا المحاريث وسلبنا الماشية وحرقنا المحاصيل وأشجار الزيتون، واتبعنا عادة حرق القرى بالنار والدم وهي العادة التي جربناها في المكسيك**"[67].

ومع بداية الصراع الفرنسي البروسي سنة 1870 أصدر وزير الحربية الفرنسي أدولف شارل امانويل**Adolphe Charles Emmanuel le Flo(1804-1887)** في 18 يناير 1871 القرار القاضي بنقل عدد كبير من قوات الصبايحية المتواجدة على الحدود التونسية والمجندة في صفوف الجيش الفرنسي إلى أروبا للمشاركة إلى جانب فرنسا في حربها ضد بروسيا، وهو القرار الذي لم يقبله الصبايحية، فقرر 135 منهم في 22-23 يناير الفرار إلى مزرعة "**عمي موسى**"، وكانت البداية من مناطق تواجدهم ابتداء من منطقة محبر بعمالة التيطري إلى الطارف شرقا وبوحجار وعين قطار جنوب شرق الأوراس، وكرد فعل قامت السلطات الفرنسية بتطبيق عقوبات ضد عائلات الثائرين بمحاكمة 134 شخصا أمام محكمة عسكرية استثنائية بعنابة، وأصدرت الحكم بالإعدام على خمسة، والأشغال الشاقة

---

64 -Mangin.E, **Notes sur l'histoire de L'Laghouat**, éditions Adolphe Jordane, librairie éditeur, Alger, 1895, p126.

65- لاكوست ايف، وآخرون، المرجع السابق، ص 248.

66 -Hugonnet Léon, **la crise Algérienne et la démocratie**, Armand le chevalière éditeurs, paris, 1868, p15.

67 - Hugonnet Léon, op.cit, p22.

والمؤبد على عشرين، والإقامة الجبرية على أربعين، وإعدام عددا من المواطنين الجزائريين في الساحة العامة لمدينة سوق أهراس[68].

خاتمة: إن الكتابة عن تاريخ فرنسا الاستعمارية بالجزائر لا يمكن أن ينتهي، فلقد مورست جميع الأعمال الوحشية التي لا يقبلها المنطق الإنساني، ولم يعرف لها في التاريخ مثيلا ضد الشعب الجزائري، فهي منافية لجميع الأعراف والقوانين الدولية، وقد ساهم المثقف الفرنسي أمثال هيغو وديتوكفيل في نشر ثقافة العنف والعنصرية التي عبدت الطريق للجيش الفرنسي باستخدام الأساليب الجهنمية خاصة في عهد الجنرال بيجو الذي سياسة الأرض المحروقة، وهناك الكثير من الشهادات لا تزال تؤكد وتثبت ما قام به الجيش الفرنسي من تجاوزات، لذا نجد " فرنسيس جانسون" يتعجب من الذين يتساءلون عما جرى في الجزائر من طرف فرنسا الاستعمارية، هل هي جرائم حرب؟ أم جرائم ضد الإنسانية؟ كما أصاب الرئيس الأمريكي فرنكلين روزفلت حينما قال عن الاستعمار الفرنسي هو أسوأ وأخبث ما يكن أن ينكب به شعب من الشعوب، ولم يبق أي مجال للشك أن عمليات التقتيل والإبادة كانت نابعة من إرادة سياسية للدولة الفرنسية، وعندما طرحت فكرة الاعتراف بجرائم الحرب صادق البرلمان الفرنسي في 23 فيفري 2005 على قانون الممجد للاستعمار الذي اعترف بالدور الايجابي للحضور الفرنسي ما وراء البحار.

ففرنسا لا تعمل على التخلص من الليل الاستعماري ولا تعاني تجاه الجزائريين من وخز الضمير الذي تشعر به تجاه اليهود، وتعبيرا عن رهافة حسها الإنساني ورقي سلوكهم الحضاري وتقديرهم للالتزام بما يسمونه بواجب الذاكرة من خلال إصدار البرلمان الفرنسي اعترافا بالمجازر الجماعية التي ارتكبتها حكومة فيشي العميلة في حقهم موجها اعتذارا رسميا، كما طالب من تركيا الاعتراف بالمجازر التي اقترفتها ضد الشعب الأرميني، و ما قام به البرلمان الفرنسي يدخل في سياق محاولات الأقدام السوداء والحركي تحريف ما وقع في الماضي القريب، ومحاولة لتناسي هذه الجرائم، فانقلب المنطق الاستعماري على تحويل الجلاد إلى ضحية والضحية إلى جلاد، فهذا القانون الذي يمجد ماضي فرنسا الاستعماري في الجزائر هو نتيجة طبيعية لما سنَّه أسلافهم من قوانين لتجريد الجزائريين من أملاكهم وطردهم من أراضيهم والاستيلاء على أوقافهم وإباحة أعراضهم وزهق أرواحهم.

68 -Emerit Marcel, « la question Algérienne en 1871, **Revue d'histoire moderne et contemporaine**, Année 1972, Tome 19, N°02, pp256-264.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر باللغة العربية

1- دي توكفيل أليكس، **نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال الفرنسي والاستيطان**، ترجمة ابراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
2- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة** ، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1982.

المراجع باللغة العربية-

-أجيرون شارل روبار، **تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر**، 1982.
3-الأشرف مصطفى، **الجزائر الأمة والمجتمع**، (ترجمة حنفي بن عيسى)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
4- بوعزيز يحي، **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب 1830- 1854**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
5-بوعزيز يحي ،**ثورات القرن التاسع عشر والعشرين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1984، ص95.
6- قنان جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994.
7- لاكوست ايف، برنيانأندري، نوشي أندري، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطنبولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
8– العلوي محمد الطيب، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954**. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994.
9-المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح**، مذكرات القسم الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 269.
10- جريدة المقاومة، العدد 17، 17 جوان 1957.
11- سعد الله أبو القاسم **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
12--شارل أندري جوليان ،**الجزائر المعاصرة** ،ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان، 1982.

المصادر باللغة الأجنبية

13- Armand Jacques Leroy de Saint Arnaud, **Lettres du maréchal saint Arnaud (1832-1854)**,levy frère- éditeurs, paris,1864.
14-Bessaih Boualem, de **l'emire AEK alimam chamyl**, Edition dahlab, Alger, 1997.

15-Bodichon Eugene, **Hygiène a suivre en Algérie, hygiène morale**, imprimerie Rey Delavigne et compagnie, Alger, 1851, pp8-26.
16- Christian (Pierre), **L'Afrique française l'empire de Maroc et le désert de Sahara**, barbier éditeur, paris, 1846.
Clara Filleul De Petigny, **L'Algérie**, tours pornin et Cie,imp-editeurs,1845.
17- Conte de Gobineau Joseph Artur, **Essai sur l'inégalité des races humaines**, Tome 01,deuxième éditions, librairie de firmot didot et Cie, paris, 1884.
18- De castellane Louis Charles Pierre, **campagne d'Afrique (1835-1848)**,lettres adressees au marechal de castellane ;par les maréchaux Bugeaud,Clauzel, Valée, Canrobert, Forey ,Bosquet, et les généraux Changarnier,Delamoriciere,Leflo, Denegrier,De wimpffen,Gler,ect.. Librairie Plon, paris 1898.
19-Démontes Victor, la Rose Emile, **La colonisation militaire sous Bugeaud**. Paris, 1917.
20- De Mond Rond, **histoire de la conquête de L'Algérie de 1830-1847**, impremerie de.E.Marc-Aurel, Tome 2, Paris, 1847.
21-De Montagnac Lucien, **Lettres d'un soldat neuf années de campagnes en Afrique**, librairie Plon, paris, 1885.
22-De Tocqueville Alexis, **études économiques politiques et littéraires, in œuvres complètes**, tome09, Michel Levy frères, librairie-éditeurs, paris, 1866.
23-Duvale Jules, **L'Algérie et les colonies françaises**, librairie Guillaumine et Cie ; paris, 1877.
24--Emérit Marcel, **les saints simoniens en Algérie** ,société d'éditions les belles lettres ,paris ,1941.
25-Edmond Pélissier de Reynaud, **Annales algériennes**, librairie militaire, T1, J Dumaine, libraire-éditeur de l'empereur, nouvelle éditions, SD.
26- El moudjahid, N° 45, 06 juillet 1959.
27- Farhet (Abbes), **la nuit coloniale**, Rêve fouillard, Paris, 1962.
28--Fillias Achilles, **histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie 1830-1860**, Arnaud devresses, librairie –éditeur,1850.
29-Hugonnet Léon, **la crise Algérienne et la démocratie**, Armand le chevalière editeur, paris, 1868.
30--Journal Des Débats politiques et littéraires, 27 juillet 1845.
31-Journal L'Algérie courrier d'Afrique, d'orient et de la méditerranée, N°165,17 Avril 1846.
32-Journal L'Algérie courrier d'Afrique, d'orient et de la méditerranée, N°111,26 juillet 1845.
33-Journal L'Algérie courrier d'Afrique, d'orient et de la méditerranée, N°110,22 juillet, 1845.
34-khaddache Mahfoud, **L'Algérie des Algériens, histoire de l'Algérie 1830-1954**. Éditions, Rocher Noir, 1998
35- Laurent Franck, **Victor Hugo face a la conquête de l'Algérie,** Maisonneuve et larose, 2001.
36- Mangin.E, **Notes sur l'histoire de L'Laghouat**, éditions Adolphe Jordane, librairie editeur, Alger, 1895.
37-Moniteur universel, N°193,12 juillet 1845.
38-Moniteur Algérienne, N°695 ,15 juillet 1845.

[39]-Moniteur Algérienne, N°696 ,20 juillet 1845.
40-Narcisse Faucon, **livre D'or de L'Algérie**, tome 1,challemel et Cie –Editeurs, Paris,1889.
41- Pein Theodore Louis Auguste, **lettres familiers sur L'Algérie un petit royaume**, ch, tanera, librairie, paris, 1871.
42 Ponroy Arthur, **le Marechal Bugeaud, récit, des champs, des camps et de la tribune**, Michel levy frères, éditeurs, paris, 1849.
[43] -Revue Africaine, volume 51,1907,l'affaire des grottes du Dahra 1845.
44- Rousset Camile, **la conquête de l'Algérie 1841-1857**, Plon et C[ie], imprimeurs-éditeur, Paris, 1889.
45-Plee Léon**, Abdel Kader, nos soldats nos généraux et la guerre d'Afrique**, publie Gustave barba, Librairie –éditeurs, paris.SD.
46-Poujoulat Jean Josep François, **voyage en Algérie études française,** nouvelle éditions, librairie d'éducation, Paris, sd.
47- Victor. Anedee dieuzaide **, histoire de l'Algérie 1830-1878,** imprimerie de l'association ouvrière, Oran, 1880.
48-Warnier August Hubert,**L'Algérie devant l'empereur**, challamel Aine, librairie-éditeurs, paris, 1865.

المراجع باللغة الأجنبية

49-Claude (martin). **Histoire de l'Algérie française 1830-1962**. Éditions des 04 fils aymond, paris, 1963.
50-Emerit Marcel, « la question algérienne en 1871, **revue d'histoire moderne et contemporaine**, année 1972, tome 19, N°02.
51- Guiral (Pierre), **Les militaires à la conquête de l'Algérie 1830-1857**, éditions crêterions, paris, 1992.